بسم الله الرحمن الرحيم

جواب رسالة الشيخ جُمعة إليَّ ...

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فقد كتبَ إليَّ الشَّيخ جمعة رِسالةً، وقد قال بعض السَّلف: «**حقُّ الكتاب ردُّ الجواب**»، فهذا جواب الرِّسالة، أُرسله مع البريد الَّذي أوصلها إليَّ، وهو وسائل التَّواصل.

وقد كان ينبغي أن لا أجيبَه، رعايةً لمكانِه، وحِفظًا لسابقته، لكنَّه طلب منِّي الجواب فقال: «فقط عندي بعض الأسئلة أريد أن أطرحها عليك، **وأرجو منك الجواب**»، وهذا في النُّسخة الثَّالثة من رسالته، فإنَّه كتب الرسالة ونشرها أوَّلًا، ثمَّ نشرها بزيادةٍ وميَّزها بـ«نسخة منقحة مزيدة»، ثمَّ ذكر أنه عرضها على

الشيخ ربيع ـ حفظه الله ـ فصحَّح له بعض الأمور، ونشرها هذه النَّشرة الثَّالثة![1] وهذا يدلُّ على اهتمامٍ بالغٍ منه بهذه الرِّسالة وقضيَّتها! ولم أفهم ـ والله ـ إلى الآن سبب هذا الاهتمام الزَّائد!

فالمهمُّ أنَّه لم يُبْقِ مندوحةً عن الجواب، فهاك جوابي فضيلة الشَّيخ!

❖ الرِّسالة في جملتها عبارةٌ عن أسئلة وجَّهها إليَّ الشَّيخ بخصوص كلماتٍ ومواقف لأخي محمَّد مرابط، سببها أنِّي أثنيتُ عليه بما أعرفه فيه من خيرٍ، بعد أن طعن فيه الشَّيخ جمعة وسمَّاه هابطًا.

وقبل أن أجيبه عن أسئلته تفصيلًا أجيب بجوابٍ إجمالي، وقبل ذلك كلِّه أُقدِّم بتمهيدٍ أشرحُ فيه للقارئ الكريم خلفيَّات كلامِ الشَّيخ جمعة وهجومه عليَّ وعلى إخواني حتَّى تكتمل الصُّورة، وتتَّضح الرُّؤية عند الجميع.

(١) مع التَّنبيه على أنَّ «قرأه وصحَّحه» لا يلزم منه أنه وافقه وأيَّده كما يريدون أن يوهموا النَّاس ويفهموهم، لأنَّ الشيخ ربيعًا يعرف الشَّيخ جمعة، ولا يعرف المردود عليهم فسمع من الشيخ جمعة ما عنده، لكنَّه لم يتكلَّم بموافقته أو تأييده، لم يحصل من الشيخ ربيع شيء من ذلك، بل عندنا قرينة واضحة تبعث على الشكِّ في هذا التأييد المزعوم، وهي أنَّ رسالة الشَّيخ جمعة حُذفت من «شبكة سحاب» ثلاث مرَّات، مرَّة بعد مرَّة، كلَّما رفعوها حُذفت، مع أن من نشرها في المرة الثالثة كتب في العنوان: «قرأه وصحَّحه الشيخ ربيع»!! فكيف تُحذَف من سحاب الَّتي يُشرفُ عليها الشَّيخ ـ حفظه الله ـ لو كان أقرَّه وأيَّده!!

تمهيد:

في يوم (١٦ أكتوبر ٢٠١٧م) جاء الشَّيخ عبد المجيد جمعة إلى مقر «مركز التَّصفية» لعقد لقاءٍ معي ومع أخي محمَّد، وكان مرافقُ الشَّيخِ أخبرنا أنَّ الشيخ يريد اللِّقاء معنا، فتجهَّزنا لذلك واستقبلناه، فلمَّا تكلَّم الشيخ فهمنا منه أنَّه يظنُّ أنَّنا نحنُ من طلب اللِّقاء معه، فاستفتحت أنا الكلام، وطلبت منه توضيحًا بخصوص ما يبلغنا من تحذيره وكلامه في الشَّيخَيْن الفاضلين: عز الدين رمضاني ورضا بوشامة، فتكلَّم الشيخ بما عنده، وأطال الكلام، وممَّا جرى في أثناء حديثه أنَّه طَعَنَ لَنَا في خمسةٍ من المشايخ الكبار، وسمَّاهم «عصابة»، وهم المشايخ الفضلاء: (عز الدين رمضاني، عبد الخالق ماضي، رضا بوشامة، توفيق عمروني، عثمان عيسي)، وقد انفصل المجلس على هذا.

فأما أنا فلم أُظهِر له اعتراضًا، بل أظهرت الموافقة حتَّى أتجنَّبَ المواجهة معه، وأمَّا أخي محمَّد فظنَّ أنَّ له عنده من المنزلة والإدلال ما يجعله يقبلُ منه الاعتراض، فأرسل إليه صوتيَّتين في (الواتس آب) طالبَهُ فيهما بكلِّ وضوح وصراحة ـ مع لزوم الأدب ـ بالبيان، وأن يكتب لنا شيئا واضحًا في أخطاء هؤلاء الذين يريد التحذير منهم، حتَّى يقبل الناس تحذيره منهم وكلامه فيهم، والتزم له إن هو فعل ذلك أن ينشره بنفسه وينصره فيه، (والصوتيَّتان محفوظتان

وسننشرهما إن احتجنا إلى ذلك)، فكان هذا هو سبب حَنَقِ الشَّيخ جمعة على محمَّد، وادَّعى أنَّه أساء معه الأدب، فلمَّا كتب محمَّد الحلقة الأولى من مقاله «بلاسم الجراح»، قال فيه الشَّيخ جمعة كلامًا شديدًا وسمَّاه هابطًا، فلَمَّا وقفتُ على كلامه رأيتُ أنَّه لا يسعني السكوت، فكتبتُ تغريدةً في «تويتر» أثنيتُ فيها على أخي محمَّد بما أعلمه عنه، فكان أن جاءت رسالة الشَّيخ جمعة الَّتي أكتب الآن الجواب عنها.

❖ أمَّا الجواب الإجمالي عن أسئلة الشيخ فهو أنه لا يلزم من دفاعي عن محمد أنني أنصر وأقرُّ كلَّ ما يقول هو وينشره، هذا ما عليه النَّاسُ جميعًا، فهاأنت أيُّها الشَّيخ تُثْنِي وتُزَكِّي من تظنُّ فيهم خيرًا في مناسبات كثيرة، فهل يقول عاقل إنَّك بذلك تقرُّ وتنصر ما يقولونه، وما قُيِّد عليهم من ملاحظات وأخطاء!!

وسيأتي أنك أردت إلزامي بذكر أخطائه في مقام الثَّناء وإلا كان ذلك على منهج الموازنة الفاسد، وأنَّ الشَّيخ ربيعًا ردَّ ذلك عليك وأنكره، فثبت بحمد الله تعالى أنَّ دفاعي عن أخي لا يجعلني مقرًّا لأخطائه ناصرًا لها، وهذا كافٍ في الجواب لمن عَقَل.

ومحمد كغيره يخطئ ويصيب، إن أصاب نقول له: أصبت، ونثني على إحسانه، وإن أخطأ نقول له: أخطات، وننصحه، وأنا أسير معه ومع غيره على

القاعدة السلفية التي قرَّرها علماؤنا أخذًا من نصوص الشَّريعة وآثار السَّلف، وهي أنَّ السَّلفيَّ الذي لم يخالف أصلًا من أصول السنَّة فهو ـ وإن أخطأ ـ أخونا، ننصحه ونُقَوِّمه قدر ما نستطيع، السرُّ بالسرِّ والعلن بالعلن، حسب ما تقتضيه الحاجة والمصلحة، ولا نبدِّعُه ونتبرأَّ منه بسبب خطئه الذي لم يخرج به عن دائرة السنة.

❖ وأزيد ذلك بيانًا بالأجوبة المفصَّلة، فأقول:

استفتحت ـ سدَّدك الله ـ رسالتك إليَّ بأربع عَثَرَاتٍ:

أوَّلها: أنك قلت في ثنائي على أخي محمد: «**بل حسبك أنّك كتبتها بقلم غير سلفي؛ لأنَّ الحكم على الرَّجل بحاضره، وليس بماضيه، والأمور بالخواتيم**».

والجوابُ أنَّ الواقفَ على هذا الكلام يظن أني قلت عن أبي معاذ: كان وكان، فحكمتُ عليه بماضيه ولم أتعرَّض لحاضره، مع أن نصَّ كلامي: «إنَّ أخي أبا معاذ محمَّد مرابط صاحب عقل راجح، ومنهج قويم، عرفته منذ عشرين سنة مرابطًا على السنَّة، مدافعًا عن أهلها، **ولا يزال كذلك** ثبَّته الله وأيده»، فقد نصَصْتُ على أنَّه لا يزال على ما عرفتُه عليه من السنَّة والدِّفاع عنها، فكيف تحكمُ عَلَيَّ بعدَ هذا بأنَّني كتبتُ التَّغريدة بقلمٍ غير سَلَفِيٍّ، لأنِّي حكمتُ على الرَّجل بماضيه!!

والثانية: أنَّك سألتني هل أُقرُّ وأوافق أخي مرابط على قوله كيت وكيت ممَّا نَقَلْتَهُ، مع أنَّك نقلت بعد السؤال مباشرةً المحادثةً الَّتي كانت بيني وبينك، وفيها أنِّي حكمتُ على كلام أخي مرابط بأنَّه بالغ وهوَّل وعَمَّم، وأنِّي راجعتُه فيه ووعَدَ بتدارك الأمر في المجموعة الَّتي نشر فيها كلامه، وقد فعل جزاه الله خيرًا، **فما محلُّ السُّؤال بعدَ هذا كلِّه؟!**

والثَّالثة: أنَّ المحادثة كانت في الخاصِّ بيني وبينك، فلا أدري كيف استجزت نقلها وإخراجها، وأنت الفقيه! والنبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «**المَجَالِسُ بالأَمَانَة**»! [أخرجه أبو داود (٤٨٦٩)، وسنده ضعيف، لكن له شواهد كما في تراه في «السِّلسلة الضَّعيفة» (تحت رقم: ١٩٠٩)].

ثمَّ ألا أراك في الرِّسالة نفسها تُنكِر على الشَّيخ حسن بوقليل ـ حفظه الله ـ الخيانَةَ، وتجرحه بها، وتَسِمُهُ لذلك بقلَّة الأدب! فكان ينبغي أن تكون في أعلى مقامات تحقيق الأمانة.

قد تقول: إن الرَّسائل الخاصَّة ليست من الأمانات، أو تقول متفقِّهًا: يجوز إخراجها لمصلحة الدَّعوة، فأنت وما ترى، **لكنَّنا لم نعهد من علمائنا وأفاضِلِنَا هذه الطَّريقة في الردِّ**، وحَسْبِي بهذا عثرةً.

والرَّابعة: أنَّ نقلك لنقدي أبا معاذٍ تحريشٌ صريحٌ بيني وبينَه، لأننا لو فرضنا أنه لم يعلم من قبل بنقدي لكلامه فلا شك أنه سيجد في نفسه من ذلك، لكنَّ ذلك

لم يكن، لأنِّي كنتُ صارحته وناقشته في كلامه وطال نقاشنا فيه، فلم تأته شيخنا! بما لا يعرفه من كلامي، بل كلامي معه مباشرةً كان أشدَّ ممَّا نقلتَهُ عنِّي.

فإن قلت: لم أقصد التَّحريش.

فأقول: بيِّن لي فائدةً واحدةً من ذكر كلامي غير التَّحريش!! فأنت قطعًا لا تريد معرفة قولي ورأيي في كلامه، لأنِّي كنت أخبرتك به كما نقلت أنت.

اللَّهم إلَّا إن كنت تريد أن تُلْزَمَنِي بعدم الثَّناء عليه لكوني خالفتُه في تلك الكلمة، فالجواب أنَّه لا تلازم بين الأمرين، فالاختلاف بين النَّاس قائم، ولن يزال، وليست هذه المسألة ممَّا يوجب المفارقة والمنابذة، فأنا أعرف سلفيَّته ومحبَّته لمشايخ السنَّة، وغيرته عليهم وعلى دعوتهم، فالخطأ في العبارة قريبٌ، لا يستوجب كلَّ هذا الَّذي وقع منك تجاهه .

ثمَّ إن طريقة التَّحريش هذه قد اتَّبَعْتَها مع غيري في هذه الواقعة، فهاأنت قد حرصت أيضًا على التَّحريش بين أبي معاذ وبين مشايخه الَّذين تزعم أنَّهم كانوا يطعنون فيه، وذلك في قولك معترضًا عن دفاع الشَّيخ حسن بوقليل عن أخيه: «**بل التزم الصَّمت، لَمَّا كان صاحبه يحظى بالطَّعن والهمز من طرف من ارتمى في أحضانهم (ولله في خلقه شؤون)، ولم يجرأ أن يتكلَّم**».

كما أنَّك أيضًا لمَّا سأل أخونا البُليديُّ الشَّيخَ عبد الغني عَنَّا ونشر جوابه،

حاولت التَّحريش بينَه وبين أبي معاذ، وذكرت أن البُليديَّ كان يأتيك يتشكَّى من أبي معاذ! كما هو في أحد أجوبتك المُصوَّرة المنشورة.

فما الغرض من هذا كلِّه! وهل كانت ردود العلماء على هذا النَّحو؟ وبهذه الطُّرق والأساليب الخسيسة؟ كلا والله، **فأهلُ السنَّة أهل شَرَفٍ وصدقٍ وحقٍّ، وهم أغنياء وبُرءَاءُ من هذه الوسائل الحزبيَّة البغيضة الَّتي يمقتها الله ويمقتها عباده المؤمنون**.

وليس العجب منك فقط في وقوع هذه التَّحريشات، فقد تكون عن غفلةٍ أو تأويلٍ ـ وأعيذكم بالله من الثَّالثة ـ، بل الأعجب أن يتناقلها النَّاس ويثنون على كتابتك ولا ينكر ذلك منهم أحدٌ، مع ظهوره ووضوحه، فاللَّهم احفظ علينا عقولنا، وثَبِّت قلوبنا.

وقد رأيتُ من المناسب أن أنقل موقفًا للشَّيخ الإمام ربيع بن هادي المدخلي ـ حفظه الله ـ يناسب هذا المقام، ليتعلَّم منه إخواننا كيف ينبغي أن يكون النَّاقد والرَّادُّ، ويعرفوا صفات أهل السنَّة الَّتي رفعهم الله بها، فإنَّ الشَّيخ ربيعًا قد قارع رؤوس أهل البدع عقودًا من الزَّمن، ونَصَرَه الله عليهم في ذلك كلِّه بصدقه وأخلاقه وديانَتِه، ووالله لو كان عنده شيءٌ من هذه الأساليب والسَّقَطَات لأسقطه الله من أوَّل أمرِه، ولكنْ رَفَعَهُ الله مِنْ حيثُ وضع آخرين.

قال المُرابط ـ ثبَّته الله وربط على قلبه ـ في كتابه «**المجموع الحافل**» الَّذي جَمَعَ فيه مواقِف من حياة الشَّيخ ربيع ـ حفظه الله ـ ممَّا شاهَدَهُ هو وغيرُه (ولم يُنشَر بعد):

«**صدقٌ وتجرُّد**: كتب أحد المشايخ ردًّا بيَّن فيه تفاصيل ما جرى في جلسة جمعت الشيخ ربيعًا ببعض المنحرفين المخالفين، فوقع فيها ما وقع من سوء أدب ومخالفة للحقِّ، ثم تجرَّأ أحد من حضر المجلس وهو رأسهم وقائدهم على كتابة وقائع تلكم الجلسة، فكذب وحرَّف الحقيقة كما هي عادتهم.

فانبرى هذا الشيخ لكتابة ردٍّ على بيانه، كونه كان حاضرًا في المجلس، وعندما أنهى ردَّه عرضه على الشيخ لينظر فيه، فطالبه الشيخ بعد مراجعة بيانه بحذف فقرة من فقرات البيان وشدَّد عليه في ذلك.

ومفاد الفقرة أنَّ أحد الحضور ـ وهو رأس من رؤوس الشرِّ ـ أساء الأدب في مجلس الشيخ ورفع صوته في بيته، وقام من مجلسه منتفضًا كالثور، وهو ما دفع بهذا الشيخ إلى القيام له لإسكاته، فقام أحد الحضور وهو زميل لهذا الثائر وصديقه الحميم، وكان أعقل منه، فانزوى به بعيدًا وأخبره بأنَّ هذه من عوائد الرَّجل، فلا تنزعج واتركه حتَّى تسلم من شره.

فلمَّا وقف الشيخ ربيع على هذه الجزئية في بيان الناقد، أمره أن يحذفها

من ردِّه، وقال له ـ كما أخبرني هو ـ: «**هل تريد أن تُحَرِّش بينهما**»؟! وقصده أن الطائش إذا وقف على بيان الجلسة سيتفطَّن حتما إلى كلام صديقه فيه ـ عندما انفرد بالرجل ـ فيقع في نفسه أن صديقه طعن في ظهره! لهذا رأى الشيخ أن هذا من النَّميمة والتحريش!

فانظر ـ رعاك الله ـ كيف يُنْصِفُ الشيخ خصومه من أهل الباطل! ولو أنَّ أحدنا كان في مكانه لفرح الفرح الشَّديد بهذه الغنيمة، لأنَّها تُحقِّق له شيئا من الغلبة والانتصار على خصومه.

والله لو أجزت لنفسي ذكر الحادثة بعينها وتعيين الأشخاص بأسمائهم، لما صدَّق القارئ كيف تجرَّد الشيخ وأنصف هذا المبتدع الضالَّ الذي اشتهر بعدائه وخصومته الفاجرة مع الشيخ، لكن ما فعلتُ هذا إلَّا احترامًا للشَّيخ وتحقيقًا لمقصده» اهـ.

❖ وقد أتبعتَ هذا السُّؤال الأوَّل بكلامٍ أقف منه على أمور:

الأمر الأوَّل: قلت: «وأيضًا ذكرت محاسن الرَّجل، وتغاضيت وتكتَّمت، وأهملت ما أورده في تغريداته من انحرافات علمية، ومنهجية».

أقول:

أوَّلًا: أنا ذكرت عن الرجل ما أعلم، ولا أعلم عنه ـ بحمد الله ـ انحرافًا منهجيًّا ولا علميًّا.

ثانيًا: هل كلُّ من ذكر رجلًا بخيرٍ وهو يعلم عنه بعض الأخطاء غير المنهجيَّة يلزمُهُ أن يذكرها؟ إذًا يلزم من هذا أن لا يُثنِيَ أحدٌ على أحدٍ إلَّا انتقده، لأنَّه لا يسلم أحدٌ من الخطأ، نعم، من يُخشَى من الثَّناء عليه مطلقًا اغترارُ النَّاس به ومتابعتهم له على ما عنده من المخالفة فهذا يحسُن ـ وربَّما يجب في مواطن ـ التَّنبيهُ على أخطائه، ولا أعلم هذا عن أخي محمَّد، ومن رحمة الله تعالى أن أبقى فينا علماء يُبيِّنون الحقَّ ولا يكتمونه، فلهذا لَمَّا أردت التوسُّع في النِّكاية وألصقت بي منهج الموازنة أنكر ذلك شيخنا الإمام ربيع ـ حفظه الله ـ وقال: «**هذه ليست موازنة، هذا ظلم**»، كما أثبتَّ ذلك في حاشية رسالتك، فجزى الله شيخنا الإمام خير الجزاء.

الأمر الثَّاني: قوله: «**وحسبك أيضا كذبًا أنّك تدّعي معرفتك به مذ عشرين سنة؛ فليت شعري، متى مضى من عمركما؟! ومتى التقيتما؟!**».

أقول: قد عددت السِّنين التي عرفت فيها الرجل قبل أن أكتب ما أكتب، فمعرفتي به كانت في حدود سنة (١٤١٨) أو بعدها بقليل، فهي عشرون سنةً مستوفاة الشهور والأيَّام، هذا فضلًا عن أنَّ العرب تُسقِط الكسر إلى جهة القرب عند العدِّ، فلو كنت أعرفُه منذ سبعة عشر عامًا أو ثمانية عشر عامًا لجاز لي لغةً وشرعًا وعرفًا أن أقول منذ نحو عشرين سنة! فكيف وهي عشرون تامَّة؟!

ثمَّ بأيِّ دينٍ وعقلٍ تحكم عليَّ بالكذب في أمرٍ ممكن قريب، وأنت لم تُجرِّب عليَّ كذبًا قبلها؟! فسامحك الله.

على أني لا أستصعب تكذيبك لي بعد أن كذَّبت الشيخ عبد الغني عوسات ـ حفظه الله ـ في قوله: إنَّه يعرف من زكَّاهم من إخوانه طلَّاب العلم منذ عشرين سنة!! مع أن بعضهم يعرفه الشَّيخ منذ أكثر من ذلك.

الفرق أنك صرَّحت بتكذيبي وعرَّضت بتكذيبِ الشيخ فقلتَ: «**عجبًا! أمن العدل والصدق والحق معرفة هؤلاء منذ عشرين سنة؟ يا ليت شعري متى التقى بهم، وهل هم إخوة في النَّسب اجتمع بهم دفعة واحدة في بيت واحدٍ وعرفهم؟؟**» ونحو هذا من الكلام الذي لا يقدح فيما أثبته الشيخ! بل يضرُّك ويؤذيك، والله المستعان.

الأمر الثَّالث: قولك: «**كذا قال: «كلام خاص في مجموعة مغلقة» هل صارت الدعوة السلفيّة صوفيّة إخوانيّة؛ لها كلام في العام وكلام في الخاص، أم أنّ ما نقوله للخواص لا يقال للعامة حتى لا نفتضح؟!**».

فهذا الكلام من المُدْهِشات، لأنَّ من العلم المستفيض الذي لا يخفى على مَنْ هو دونك بمراحل أنَّ من العلم ما لا يجوز أن يُحَدَّث به عامَّة الناس، وقد بوَّب البخاري رحمه الله على ذلك: «باب من خصَّ بالعلم قومًا دون آخرين كراهية أن لا يفهموا»! فبعضُ الكلام وإن كان الرجلُ يعتقد أنه حق فإنه إن خشي مفسدة من إذاعته في عامَّة الناس لم يكن له أن يفعل، وليس هذا مما عُرِف عن أهل البدع من التكتُّم عن مذاهبهم وضلالاتهم، لأنَّ هذا في أمرهم كلِّه

ودعوتهم من أصلها، وليس في بعض العلم الَّذي قد لا يفهمه بعضُ الناس.

على أنَّ كل من يعرفك يشهد أنك من أكثر الناس فعلًا لهذا الذي تنكره، فكم قُلْتَ ثمَّ أنكرت، وكم تكلَّمت في السرِّ بما تنكرُه في العلن، وكَمْ وكَمْ، والله الموعد.

❖ أمَّا سؤالك الثَّاني: «**هل تقرُّ وتنصر قول صاحبك في مقاله الأخير: «بلاسم الجراح»، وفيه بلايا، وكأنّه طبيب جرّاح، وليس هذا موضع بيانها، لكن حسبي أن أنقل عبارة واحدة، تنبئ عن شخصية الرجل، وتحوّله، وهي قوله: «سأحاول في هذه العجالة أن أمدّ للحائر في ظلمات الزيغ، بعض حبائل النجاة المنسوجة من نصوص الشرع وآثار السلف، تخلص الآخذ بها ـ بإذن الله ـ من غياهب الفتن والشكوك والأوهام، وترفعه إلى مراتب العقل والفهم والثبات**».

فأقول: لم يظهر لي وجهُ الخطأ والمخالفة في هذا الكلام!! فالرَّجل يزعم أنه يدلُّ الحائر، ولم ينتصب دليلًا للأمَّة كلِّها، ألا تراه يقول: «أمدُّ للحائر في ظلمات الزَّيغ»؟ **وليس كلامُه بأبلغَ من تسمية ابن القيم كتابَه في الرد على النَّصارى بـ«هداية الحيارى»!**

ثمَّ هو أخبر أنه ينسج من حِبال الشَّرع وآثار السلف، لا من فهمه وفكره، أوليست الحبال المنسوجة من الكتاب والسنة أعظمَ هداية؟!

نعم، قد ترى أنه تصدَّى لمقام أكبر منه، حيث انبرى لاستخراج هدايات الكتاب والسنَّة وآثار السلف، فلك أن تنصحه في لينٍ أو تزجره بما يناسب

المقام، لكن من غير تهويلٍ، فإنَّ التهويل بضاعةٌ لا رواج لها في سوق النقد العادل، وإنَّما يحملها مِن النَّاس الجاهلُ والمتحامل.

وأمَّا يمينك وقَسَمُك على أنهَّا لو قيلت لشيخ الإسلام ابن تيمية لتبرَّأ منها، فرجمٌ بالغيب، وتهويل أيضًا، وهو كَقَسَمِك فيما يأتي في جواب سؤالك الثَّالث.

على أنَّ ابن تيمية قد قيل فيه ما هو أكثر من هذا ولم يتبرأ منه!! فقد أرسل عماد الدِّين الواسطي المعروف بابن شيخ الحزَّامين (المتوفَّى سنة: ٧١١) رسالةً إلى تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ وهو حيٌّ ـ قال فيها: «فاشكروا الله الَّذي أقام لكم في رأس السَّبع مائة من الهجرة من يبُيِّن لكم أعلام دينكم، وهداكم الله به وإيَّانا إلى نهج شريعته، وبيَّن لكم بهذا النُّور المحمَّدِيِّ ضلالات العباد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزَّائغ من المستقيم، والصَّحيح من السقيم» [«التَّذكرة والاعتبار» ضمن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (١٢١-١٢٢)]، فأينَ هذا ممَّا قاله محمَّد؟!

وقرَّظ ابن الزملكاني كتاب الشَّيخِ «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» فكتب بخطِّه عليه ثناءً طويلًا عظيمًا ختَمَهُ بقوله:

مــاذا يقــول الواصِــفُونَ لَــهُ وصــفاته جَلَّــت عــن الحَصْــرِ
هــــو حجَّـــــةٌ لله قــــاهرةٌ هــــو بيننـــا أعجوبــــةُ الـــدَّهر
هـــو آيـــةٌ في الخلــقِ ظَــاهرةٌ أنوارهــا أرْبَــت عَلَــى الفَجْــر

قال فيه هذا الكلام وكتبه بخطِّه في كتابِه ولشيخ الإسلام نحوُ الثَّلاثين سنة كما في «الجامع» (٢٥٣).

واشتُهر أنَّ أبا حيَّان شيخ النحاة لَمَّا لقيه قال على البديهة يمدحه أبياتًا، منها قوله:

قـام ابـن تيميـةَ في نصـرِ شِـرْعَتِنَا   قيـامَ سَـيِّدِ تـيمٍ إذْ عَصَـت مُضَـرُ
فـأظهر الحـقَّ إِذْ آثـارُه دَرَسَــتْ   وأخمَدَ الشرَّ إذ طـارَتْ لـه الشَّـرَرُ

يعني بقيام سيِّد تَيْمٍ، قيام أبي بكر رضي الله عنه في حروب الردَّة!

وليس الغرض أن ابن تيميَّة يرضى بالمدح، ولا أردت أن أستقصي ما قيل فيه في حياته أو بين يديه، بل أن أُثبت أنَّه قد قيل فيه ما لا نسبةَ بينَهُ وبين كلام محمَّد ولم يتبرَّأ منه، فاحفَظْ يمينَك فضيلة الشَّيخ!

❖ وتقول في السؤال الثالث: «**أقول لحمودة ومن كان على شاكلته: هل تنصر صاحبك مرابط، وتقر هذه التغريدة الأخيرة، وهي قوله: "لو كان سفهاء اليوم زمن الألباني وكانت وسائل التواصل بحوزتهم لرأيت منشوراتهم: كلام الألباني في ابن عثيمين! وتحذير ابن باز من الألباني! وطعن الألباني في التويجري! وكلام الشنقيطي في الألباني، وصدق القائل: نكون في زمن نبكي منه فإذا مضى بكينا عليه، فاللهم رحماك فقد اشتد الأمر وعظم البلاء"**.

ووالله لو حذف اسمه لقيل في أول وهلة جزما، ودون تردد: هذه التغريدة للمسعودي – المسعوري- أو لأبي المخازي ومن كان على شاكلتهما، بله للحلبي أو الرمضاني».

لا أزيد على تأكيد تعجُّبي منك، فقد استغربتُ ـ ولا أزال أستغرب ـ ماذا أنكرتَ من هذه الكلمة التي تَوْتَرَ بها صاحبي، فهو ينكر على من يحشر نفسه بين العلماء الكبار، ويذكر نماذج لِخِلَافاتٍ وقعت بين بعض أهل العلم لم توجب تهاجرًا ولا تحذيرًا، وقد سألتُ بعض من أنكر هذه الكلمة: ما موقفنا من ردِّ فلان على فلان من العلماء؟ قال: نسكت ولا ندخل أنفسنا بينهما، قلت: هذا ما قاله أبو معاذ، فسكت.

وأزيدك أنه قد حدَّثني بعض مشايخنا الفضلاء أنَّه قرأ هذه التَّغريدة على شيخنا عبيد الجابري ـ حفظه الله ـ فاستحسن الكلام، وقال: «كلام طيب».

وقد حلفتَ يمينًا أخرى أنَّه لو حُذِف الاسمُ عن قائل هذا الكلام لقيل جزمًا دون تردد هو فلان أو فلان ممَّن سميت من المنحرفين، وقد أجابك أحد هؤلاء المُسَمَّيْن بعد أن وقف على يمينك فقال: «قد لزمتك الكفارة إن كنت فقيهًا».

على أنَّ هذا القائل قد أخطأ أيضًا، فالشيخ جمعة حلف على ما في ظَنِّه، ولا كفَّارة في ذلك على الصَّحيح إذا تبيَّن أنَّه أخطا في ظنِّه، وهو أحدُ معنيين يشملهما قول الله تعالى: «**لا يؤاخذكم الله باللَّغو في أيمانكم**»، ولكن غرضي من كلام ذاك المجيب أنَّه يُنكِر أن يقول هذا الَّذي استنكره الشيخ من كلام المرابط.

❖ وأما سؤالك الرَّابع وهو قولك: «**هل تنصر صاحبك وتقر تغريدته في بيانٍ تضمّن أكثر من عشرين طعنة في السلفيّين بصريح اللّفظ والدلالة، في فقرتين**

فقط، وهم كثر –على حد لغة البيان–، وأصرّ على مباركته وتأييده...».

البيان المقصود هو بيان الشَّيخ عز الدين رمضاني ـ حفظه الله ـ المُسَمَّى بـ«**كلمة إلى إخواني السلفيِّين في الجزائر**»، وهو بيانٌ صريحٌ في الردِّ على الحلبي والرمضاني، قويُّ العبارة، واضح الغرض، سامي المقصد.

وليس محمَّدٌ بواحدٍ في تأييده، فإنَّ عُظْمَ السَّلفيِّين وجمهورَهم في هذا البلد قد فرحوا بهذا البيان واستبشروا به، وكان هذا البيان فتحًا عظيمًا عليهم، وأنا كنت ممَّن أيَّده وكتبت في ذلك توتَرَةً قلتُ فيها: لقد استحق الشَّيخ ـ صاحب البيان ـ ببيانه هذا الشكر والثَّناء واستحقَّ علينا الدُّعاء.

بل إنَّ البيان قد قُرئ على الشَّيخ عبيد الجابري ـ سلَّمه الله وحفظه وبارك فيه وفي أهله ـ ولم يستنكر منه كلمة واحدة! وكذا قُرِئ على الشَّيخ عبد الله البخاري ـ حفظه الله ـ فلم يُنكر منه شيئًا، حدَّثني بذلك مَنْ قرأه عليه.

وأوَّلُ من سمعتُه يطعن في البيان هو أنت، حيث زعمت أنَّ فيه طعنًا في السَّلفيِّين!! ولا أراه حملك على هذا إلَّا حَنَقٌ على الشَّيخ عز الدين لا ندري ما وراءه، ولعلَّك تُبيِّنه لنا وللسلفيِّين عامَّة بكتابات موثَّقة، أو تسجيل بصوتك، نسمعه منك لا من المجاهيل الذين يتكلَّمون على لسانك، حتَّى لا نظنَّ بك أنَّك لا تريدُ أن يكون إخوانُك مبرَّئين ممَّا اتُّهموا به، فلهذا تُشوِّشُ على هذا البيان الذي ينادي ببراءَتِهم من الحلبي والرمضاني.

مع أنَّ البيان ظاهرٌ في الثَّناء على السلفيِّين والدفاع عنهم والطعن في مخالفيهم، وإنَّما نَصَحَ بعض الشَّباب المتهوِّر بتلك النصائح الغالية التي لو أخذوا بها لقلَّت الفتن أو انعدمت بين السلفيِّين، وهي وصايا العلماء الكبار للشَّباب، لم يَعْدُهَا صاحب البيان.

ثمَّ هب أنَّ أخي محمَّدًا لم ينتبه كما انتبهت أنت إلى خفايا هذا البيان، فأخذ بالظَّاهر ووَكَلَ السَّرائر إلى الله، فما الضَّيْرُ في ذلك؟!

فإن قلت: قد بيَّنتُ له هذه الطعون وعددتها له، فالجواب أنَّه لا يلزم من كونك بيَّنتَ له رأيك فيه أن يوافقك عليه، لا سيَّما وقد خالفك جمهورُ السلفيِّين في هذا البلد.

فصل

استطرد المُرسِلُ في السؤال الرَّابع إلى الكلام على الشَّيخ حسن بوقليل، وقال فيما قال: «هو من شيوخ النت والفجأة، وهو أجهل من حمار أهله».

أقول: كلُّ من وقف على هذا الكلام ممَّن يعرف الشيخ حسنًا استنكره وتعجَّب منه، فالشيخ حسن ليس من شيوخ النت، بل هو من شيوخ الواقع، شيوخِ حِلَقِ العلم ودروس المساجد، وقد شارك في درواتٍ كثيرةٍ، وفي بعضها مع الشَّيخ جمعة، وله نشاط في التعليم منذ نحو عشرين سنة، وقد ألَّف وحقَّق،

وحَصَل أخيرًا على شهادة الماجستير من جامعة الزَّيتونة، وهو مسجَّلٌ في قسم الدُّكتوراه في الجامعة نفسها.

ولقد آذى الشيخ جمعة نفسه بهذا الكلام، كما آذاها بقوله إنه أجهل من حمار أهله.

والباقعة الصلعاء في الشاهد الذي أتيت به لتستدلَّ على أنَّ الشيخ حسنًا قليلُ العلم، وهو كونه ذهب ليلقي محاضرة فلمَّا لم يجد الأوراق ألغى المحاضرة، فهذا ليس دليلًا على قلَّة العلم، بل دليل على التثبُّت، وأنَّ الرَّجل لا يتكلَّم إلا بما يعلم، وكم من السلف حرص على أن لا يُحَدِّث إلا من كتاب، أفيكون نقصًا في العلم، وكَمْ من كاملٍ في العلم وآلاته لا يتكلَّم إلَّا بما يُحَضِّرُهُ من دروس ومحاضرات.

إنَّ السكوت عن مثل هذا يُصَوِّر في أذهان الناس أن مثل هذا الفعل مذمَّة، والحقيقة أنه ليس كذلك، نعم، الأكمل بلا شكٍّ أن يكون علم الإنسان في صدره، لكنه إن حَضَّرَ ما سَيُلْقِيه وأعدَّه سَلَفًا فلا عَيْبَ عليه فيه.

وأما كونه قَلَبَ المحاضرة إلى سؤالٍ وجوابٍ فهو من حُسن تَصُرُّفِه، كونه لا يُضَيِّع على الطَّلبة اجتماعهم، ويفيدهم بما عنده من عِلْمِ مَا يسألون عنه.

وليس هذا استخفافًا منه بشأن الفتيا، لأنَّه يجيب عما يعلم، ويسكت عمَّا لا يعلم، بدليل أنَّه لَمَّا لم يجد أوراق المحاضرة لم يُلْقِها، فكذلك إذا سئل عمَّا لا

يعلم يقول: لا أعلم، ولقد حدَّث من يحضر مجالسه أنهَّ كثير الجواب بـ«لا أدري».

وأمَّا وصفك إيَّاه بقلَّة الأدب فهذا أيضًا من العجب! فإنَّ الشَّيخ حسنًا معروف بعنايته بهذا الباب دراسةً وتدريسًا وامتثالًا.

وقد كنتُ في اللَّيلة الَّتي وقفتُ فيها على هذه الكلمة «قليل العلم وقليل الأدب» كتبت عليها تعليقًا قلتُ فيه:

«في بداية طلبي للعلم وُفِّقتُ إلى مسجد سلفيٍّ عامر بطلَّاب العلم المجتهدين، وكان رأسَهم ومقدَّمهم طالبٌ رأيته أكثر شيء اشتغالًا بأمرين:

الأوَّل: دراسة ومدارسة «كتاب التوحيد» للشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله، ولشروحه المكتوبة والمسموعة.

الثَّاني: آداب طالب العلم، فهو لَهِجٌ بها كثير الحديث عنها في مجالسه، وكان له احتفال كبير بـ«الحلية» خاصَّة.

كبِر هذا الطالب وهو على هذا السَّنَنِ، فشَغَلَ مَنْ حوله وعَمَر دروسه بهذه الأمور، ومسجدُه الآن عامر بنشر العلم والتَّوحيد، والدَّعوة إلى التحلِّي بمكارم الأخلاق وجميل الآداب.

هذا هو أخي الشَّيخ حسن بوقليل حفظه الله وصان مهجته ورعى أنفاسه.

فهو حسن الخلق، قليل الشَّغَب، كثير الأدب.

والأمر لله»اهـ.

والشَّاهد الَّذي ذكرتَه على قلَّة أدَبِه لا يساعدك، فإنَّ قصَّة الأمانة قد أوضحها الشَّيخ حسن، وقد كتبتَ النُّسخة الثانية والثالثة من رسالتك إليَّ بعد أن كتب هو توضيحًا عن هذه المسألة، ولم تتعرض لجوابه وتوضيحه.

وما أحسن وأبلغ جواب الشيَّخ حسن عن وصفك له بقلَّة العلم والأدب إذْ قال في التَّوضيح المذكور: «إنَّني أسعى لإصلاح قليل الأدب الَّذي رزقني الله، وأمَّا العلم فأسأل الله أن يُعَلِّمَني ما جهلت»!

فلو لم يكن للشَّيخ حسن إلَّا هذا الجواب لكان دليلًا ـ وأيَّ دليل ـ على حسن أدبه وفَّقه الله.

ولعلَّ هذا الجواب هو الذي زادك حنقًا عليه فقلت في النُّسخة الثَّانية: «وإن شئت قلت أبو قلَّة العلم وأبو قلَّة الأدب»، فالله المستعان من هذا التجنِّي والمبالغة في الذمِّ التي تُنبئ عن أشياء وأشياء!

❖ وأمَّا الشيخ مصطفى قالية فقد قلتَ في النسخة الأولى والثانية: «ونظيره وشبيهه قالية...»، وفي الثالثة زيادةُ بيانٍ: «ونظيره وشبيهه في مشيخة النت والفجاءة مصطفى قالية .... (ولعل القائمة لا زالت مفتوحة)».

والجواب عن هذا كالذي مضى من أن الشيخ مصطفى من شيوخ الواقع لا من شيوخ النت، وله دعوةٌ طيِّبة نفع الله بها في الغرب الجزائري، وقد شارك في دوراتٍ بعضها معك، وطُبع كتابه «أحكام المساجد» وهو مفيدٌ جدًّا، حتى قال

الشيخ أزهر ـ حفظه الله ـ في كلمةٍ عنه: «ينبغي أن لا يخلو منه مسجد من مساجدنا»، ويكفي أنَّه قدَّم له الشَّيخ محمَّد علي فركوس ـ حفظه الله ـ، وأنت تعرف شرط الشيخ وشدَّته فيما يُقَدِّم له من الكتب والرسائل، وقد حصل الشيخ مصطفى آخرًا أيضًا على شهادة الماجستير في جامعة الزَّيتونة، وسَجَّل فيها للدكتوراه، والحمد لله.

❖ وأما سؤالك الخامس وهو قولك: «**هل تنصر من رفض قبول نصيحة من هو في مقام والده، ومن كان يتغنّى بمشيخته؟ فأنت تعلم علم اليقين، أنّ فضيلة الشيخ أزهر سلمه الله لم يأْلُ جهدًا في مناصحته بالعدول عن كتابة التغريدات، وعدم الخوض فيما هو أكبر منك، ولا يحشر أنفه في ذلك، إلى حد أنه غلّظ عليه القول، فأبى إلا العناد، والإصرار على ما هو عليه، ومواصلة كتابة تغريداته المُغرضة**».

فالجواب: نعم، الشَّيخُ أنكر كتابته الأخيرة في مجموعته، وهي التي نقلتَها في أول المقال، وكانت العلاقة بينهما قد انقطعت بعد استقالة مرابط من الإشراف فأرسل إليه الشيخ أزهر رسالة يطلب منه أن يُمْسِك لسانه ويُقبِل على شأنه، لكن الأمور تسارعت بحيث صعب الاستدراك، ولم يبق مجالٌ لمناقشة الرأي كما هو عهده مع الشيخ، فالشيخ لم يكن في يوم من الأيام مُلزِمًا له ولا لغيره برأيه، بل كانت العلاقة معه قائمةً دائمًا على المباحثة والتشاور في دقيق الأمور وجليلها.

❖ وأما قولك: «ولعلَّ القائمة لا زالت مفتوحة» فما أظنُّك إلَّا تقصد تخويف من قد يُظهِرُ مخالفتك في مواقفك الأخيرة من إخوانك المشايخ والطلَّاب، فاعلم ـ سدَّدك الله ـ أنَّ في الناس من إذا اعتقد حقًّا قال به ولا يُبالي، وهم يعلمون علم اليقين أنَّ الرِّفعة بيد الله سبحانه، هو سبحانه الَّذي مَدْحُهُ على الحقيقة زَيْنٌ، وذَمُّهُ شَيْنٌ كما قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وغايةُ ما عندك أنَّك قد تؤذيهم بالكلام، وتُنَفِّر النَّاس من مجالسهم، ولا يضرُّهم ذلك شيئًا ما داموا يعلمونَ أنَّهم على الحقِّ، ويستيقِنُونَ أنَّ الله تعالى ناصِرهُم ومظهرهم بالحقِّ الَّذي هم عليه، طالَ أَمَدُ هذه العَمَايَة أو قَصُر، فهم في جهادٍ لإصلاح أنفسهم وإصلاح النَّاس مِنْ حولِهم، وأنيسُهُم وسَلْوَى نفوسهم قولُ الله تعالى: «**معذرة إلى ربِّكم ولعلَّهم يتَّقون**»، وقول النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «**فوالله لأن يُهدى بك رجلٌ واحدٌ خير لك من حمر النَّعَم**» [أخرجه البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦)].

وقد علمنا ـ بحمد الله ـ ميزانك في الجرح والتعديل، والطريقة التي أنت عليها فيه، وهي التي قال فيها شيخنا محمد بن هادي ـ حفظه الله ـ في «كشف النِّقاب» (ص:٣): «وأنا أنتظر منكم الردَّ حتى يعلم الناس ميزانكم في الجرح والتَّعديل، **الذي هو فقط: أن يكون الشَّخص معكم سِيقَةً لكم تُسَيِّرُونَه كما تشاؤون.**

فإن كان معكم فهو أصدق الناس وإن كان أكذب الناس وأفجر الناس، وإن لم يكن معكم فهو عندكم أكذب الناس وإن كان أتقى الناس وأصدق الناس».

فهذا هو ـ والله ـ ميزانكم الخائس، **وعندنا الشواهد الكثيرة على ذلك من كلامكم الموثَّق، وسنظهرها للنَّاس إن شاء الله.**

❖ وأمَّا إقسامك أنَّك ما ظلمتني ولا ظلمت صاحبي، فهذ يمينك الثَّالثة في هذه الرِّسالة، والحُكمُ فيها ليسَ إليك، وإنَّما الحكمُ يكون من غيرِ أحد الطَّرفين، وقد رضيتُ بالعقلاء ممَّن يعرفُ القضيَّة ومَنْ يَقف على كلامك وكلامي حَكَمًا، ولا أقول إنِّي سأخاصمك يوم القيامة بين يدي المَلِك الجبار سبحانه، لأنِّي أرجو أن تكون فيما قلتَ مجتهدًا متحرِّيًا للحقِّ ونصرة السنَّة، فإن أخطأتَ كُتب لك أجرُ اجتهادك.

❖ وقولك: «على نفسها جنت براقش»، فأنا ما جنيتُ على نفسي، وإنَّما دافعت عن أخي، وتعبَّدت لربِّي بنصرة المظلوم، وقولِ كلمة الحقِّ، وقد كنتُ أعلم أنَّني سأتأذَّى بسبب ذلك، ويصلني منها سوء، ولستُ نادمًا على ذلك، ولو رجعت الأيَّام لفعلتُ مثل الَّذي فعلتُ ولا أبالي، ولكن الَّذي جنى على نفسه هو الَّذي خالف أحكام الشَّريعة، فقال في أعراض المؤمنين بالظلم، وسعى بينهم بالتَّحريش والنميمة، وفرَّق السلفيِّين، وشَغَلَهم بما كانوا في غِنًى عنه.

وختامًا: أنصحك فضيلة الشَّيخ! أن تَرجِع إلى رشدك، وتُراجع إخوانك،

وتتحلَّل ممَّن ظلمتَهُ منهم، فالفرصَةُ ممكنة، والأمرُ قريب، وأُذكِّرك بسنَّة الله تعالى في الظَّالم والباغي والسَّاعي في التَّفريق بين المؤمنين، فوالله ما قامت السَّماوات والأرض إلَّا بالحقِّ والعدل، ولن تقوم دعوةٌ إلَّا بالحقِّ والعدل، ومَنْ ظَنَّ خلافَ ذلك فقد ظنَّ بالله تعالى وبشرعِه وقدَرِه سوءًا، وسيُقِيمُ الله تعالى له شواهدَ الحَقِّ والعدلِ في نفسِه قبلَ غيره.

هذا جوابي عن رسالتك، وإنَّ لصاحب الحقِّ مقالًا، ولو تُرِكَ القَطَا لنامَ، و«مَنْ طرق الباب سمع الجواب»، وقد كان في الإمكان بسط الكلام إلى أكثر من هذا، ولكنِّي أقتصر على ما ذكرتُ جريًا على قاعدة الدَّفع بالأسهل فالأسهل، فإن أُحْوِجتُ إلى غير هذا، فلكلِّ مقامٍ من المقالِ مَا يُناسب الحال، والحمد لله ربِّ العالمين.

كتبه/ **خالد حمودة**

يوم الإثنين ٢٩ ربيع الأول ١٤٣٩

بعد ثمانٍ وعشرينَ ليلةً من وُصولِ الرِّسالة إليه، وهو يحمَدُ الله ويُثنِي عليه ويصلِّي ويُسلِّم على نبيِّه وعلى آله وصحبه.